

## الخيال لدى الشاعر الباغوي: دراسة تحليلية

إعداد:

بشر مالي ساعي ومصطفى أبوبكر غسل

Brilliant Footsteps Int'l Academy, Western Bypass Sokoto

### المقدمة

الحمد لله أهل الحمد والثناء، والصلاة والسلام على النبي القائل: "إن من الشعر لحكمة"<sup>١</sup> ثم الرضا عن آله المشهود لهم بالسبق في حلبة الفصاحة، وأصحابه الفائقين في مناهج البيان مجازا وكناية وصراحة، ومن تبعهم بإحسان السلوك إلى يوم الدين. وبعد:

لقد حفز الباحثين إلى انتقاء هذا العنوان: "الخيال لدى الشاعر الباغوي: دراسة تحليلية" ما لاحظناه من أنّ الشعراء النيجيريين صوروا المعاني تصويرا رائعا متمثلا في الخيال الخصب وأنهم يعتمدون على قوة التذكر وتداعي المعاني على الذهن بسهولة، ويلوّنونها، ثم يبثون فيها حياة وحركة، ويلقون عليها ظلا جميل المنظر، ويتخيل القارئ مشهدا منظورا يراه ويعاينه، والغاية من تشكيل هذه الصور؛ التأثير في الوجدان، وتنشيط القارئ، أو التخفيف من ألمه إن كان متألما، كما يسهل الصعب ويقرب البعيد ويكثّر القليل ويكبر الصغير ويصغر الكبير ويوضّح الغامض ويجسد المعاني التي يريد الشاعر أن يقنع بها القارئ وتطرب لها نفسه. وهدف الباحثين في هذه العجالة أن يقدموا رؤية عن مقدرة الشاعر الأستاذ محمد تكرر الباغوي على استحضر الصور الرائعة في شعره، وقدرته في اقناع القارئ بروعة خياله وقيمة أفكاره، وروعة لغته التصويرية. سيتجلى في المقال أن الشاعر استطاع أن يصوّر المعاني في ذهنه ويجسدها ثم يصوغها صياغة فنية رشيقة، فصبّ عليها خياله ليعرضها للقارئ في ألوان مجتحة، كي يخيل للقارئ أنه أمام منظر سينمائي جذاب يشاهد ما يعبر عنه الشاعر أو يجسده من المعاني الخلافة خلال المجازات اللطيفة، مما يشهد على جودة اللغة التصويرية لدى الشاعر، لأنّ ما يبتكره الشعراء من الصور التي تأخذ

بمجامع الأففدة، وتملك على القارئ والسماع لئهما وعواطفهما هو سرُّ الخيال. ويتكون المقال - بعد المقدمة - من العناصر التالية:

- التعريف بالشاعر
- مفهوم الخيال
- صور من الخيال في شعر الباغوي
- الخاتمة
- الهوامش

#### التعريف بالشاعر:

هو الشيخ<sup>١</sup> الأديب الشاعر محمد تكرر<sup>٢</sup> بن هارون بن محمد الباغوي<sup>٣</sup> المعروف بـ"مالم تكرر". ولد محمد تكرر الباغوي بعد استقلال نيجيريا من ربة الاستعمار الإنجليزي بعامين، يوم الأربعاء ٧ من شهر ربيع الأول سنة ١٣٨١هـ الموافق ١٩٦٢م، بقرية مَشَايَا<sup>٤</sup> التابعة لمحافظة دَفُئِي (DAFCHI) ولاية يُوبي- نيجيريا حاليا.

واشتهرت أسرة الباغوي بالعلم، وضاءت قاعة بيتهم بالعلم وتجلت ساحته بالكرم، نشأ وترعرع في أسرة تهتم بالعلم والدين اهتماما بالغا، فعاش حياة علمية طيبة تحت رعاية وتربية والديه الكريمين في صيانة على سيرة حسنة، وحالة حميدة من طلب العلم والفتنة والحفظ<sup>٥</sup> ويقول في الأرجوزة التي قرضها عن مولده:

سبع ربيع أول قد ولد \* تكرر لهارون فتى محمد

إلى أن قال:

في حومة القراء من قريتهم \* مَشَايَا يعنون بها منهلهم

إلى أن قال:

أبوه هارون إمام الأدباء \* من صُكُّتُو جاء لِعُوبِرِ نَسِبا<sup>٦</sup>

قدم والده الشيخ هارون بن محمد من أراضي عُوبِرِ<sup>٧</sup> إلى قرية مَشَايَا الواقعة في الشمال الشرقي لمحافظة غَشُوَا (GASHUA) ولاية يُوبي نيجيريا، مكث فيها بعض السنوات حيث أقام لنفسه فيها

بنيانه المرصوص، وقلعته المشرفة المشتهرة بتلاوة القرآن، فلما قضى منها وطره وتحقق فيها حلمه انتقل منها إلى قرية دُورُنْ بَاغَا، فطاب له المقام وحظي بإقبال الناس له، فأنشأ في منزله حلقة علمية يقصد إليها طلاب العلم الذين تهيأت نفوسهم للحفظ والترتيل، مغترفين من حوضه علوم الدين، كما يفد إليه الناس للإفتاء والتفقه في الدين.<sup>٩٠</sup>

فلما ذاع صيته في العلم والتفقه في الدين، عين إماما ومفتيا في القرية، فعلا شأنه وجلا أمره، حيث تخرج على يده عدد غفير من الحفظة والعلماء المتفتنين في ميادين العلوم الإسلامية المتباينة، فكان من حسن حظّ الشاعر محمد تُوْكَزْ من طبقاتهم، وظلّ الشيخ هارون في خدمة الدين والأمة إلى أن وافته المنية، ولَبّي نداء ربّه رحمة الله عليه سنة ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٦م.<sup>٩١</sup> ولما قوي عزمه، واستوى على سوقه، شدّ الرحال إلى بعض المراكز العلمية المجاورة طلبا للعلم والتفنن في علوم الدين، فاستقرّ بمدينة زاريا التي تعتبر مركزا من مراكز العلم والمعرفة في نيجيريا، ومأوى للعلماء والطلبة، وهي من أوفر المدن علما، وأرفعها قدر وأجلها شأنًا. ويصفها الكاتب غلادني قائلا: "وفي القرن التاسع عشر الميلادي أصبحت هذه الولاية -زاريا- أهم مراكز التعليم في نيجيريا، ووفد إليها كثير من طلاب العلم، واشتهرت بعلمي النحو واللغة"<sup>٩٢</sup> فمكث بها الباغوي، وغاص في محيط علمائها، وارتوى من معينهم أخلص أعداؤها كأسا في علوم اللغة والآخر في فنون الدين.

ولم يقيّد الباغوي نفسه في معاقل علوم الدين في زاريا، بل مال برغبته الجياشة، وهمته المتلهبة إلى دراسة أشعار العرب ليقف على جواهر ألفاظها وأركان أساليبها، فاستوطن بدوحة المشايخ والأدباء في نيجيريا. لقد كونت شاعريته وذوقه الأدبي عوامل وخبرات عدة مكنته من الانخراط في ضروب الإنتاج والإبداع. فقرض القصائد الرائعة المختلفة الأغراض في مناسبات عدة. مما يؤكد تمكنه في الصناعة الشعرية وجودة إنتاجه الأدبي، ومن الأغراض التي دار في فلكها الشاعر وقرض في ساحتها الشعر؛ المدح، والرتاء، والوصف، والشكوى، والعشق والحنين، والحكم، والاستعطف، والعتاب، والألغاز، وغيرها مما قرض على صعيد المناسبات. ولم يزل الشاعر على قيد الحياة.

مفهوم الخيال

الخيال في اللغة مؤخوذ من "خال الشيء يخال خيلاً وخیلة وخیلة وخالاً وخیلاً وخیلاً ومخاله ومخیلة وخیلولة إذا ظنّه"<sup>١٠</sup> ويأتي لمعان كثيرة، منها تحرك وتلون، ومنه "السحاب الذي إذا رأته حسبته ما طراً ولا مَطَرٌ فيه"<sup>١١</sup> والخيال "خَسْبَةٌ علمها ثياب سود تُنصب للطير والبهائم على المزروعات لتظنه إنساناً"<sup>١٢</sup> ومن ذلك "الشخص والطيْف"<sup>١٣</sup> وأصله: "ما يتخيَّله الإنسان في منامه لأنه يتشبهه ويتلون"<sup>١٤</sup> ومنه قوله تعالى "قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى"<sup>١٥</sup> أي: يخيل للناظر- من شدة سحرهم- أن هذه الحبال والعصى حيات تسعى على بطونها باختيارها، مع أنها حيلة،<sup>١٦</sup> وتطلق اللفظة ويراد بها "صورة تمثال شيء في المرأة"<sup>١٧</sup> و"الخيال لكل شيء تراه كالظِّل"<sup>١٨</sup>

والخيال عند النقاد هو "الصور التي يختلقها العقل ويؤلفها من إحساسات سابقة"<sup>١٩</sup> وهو "قوة تتصرف في المعاني لتنتج منها صوراً بديعية"<sup>٢٠</sup> وهذه القوة "إنما تصوغ الصور من عناصر كانت النفس قد تلقتها من طريق الحس أو الوجدان"<sup>٢١</sup>

وتلتبس من السابق ما للمدلول اللغوي والاصطلاحي لكلمة الخيال من العلاقة الوطيدة، إذ يفهم من الأولى التشبه والتماثل والتصوير مع شيء من التحرك والتلون، بينما يدرك من الثانية أنه صور من المعاني الحيّة يختزنها العقل ثم يجسدها أمام القارئ حتى تثير مشاعره وأحاسيسه وترتبط عالم الشعور بعالم الإدراك.

#### صور من الخيال في شعر الباغوي

لما كان الكلام المشتتم على صور من المجازات الرائعة أروع مشهداً وأحسن موقعا في القلوب والأسماع، وأشد تأثيراً في النفوس فإنّ الشاعر الباغوي صاغ المعاني في شعره صياغة فنية رشيقة تهب المعنى المجرد شكلاً حسيّاً يمكن حواس الإنسان من التفاعل معها تفاعلاً إيجابياً، فصبّ عليها خياله وعاطفته الحساسة ليعرضها للقارئ في ألوان مجتّعة من صنعة الخيال المتصرف في ملكات النفس والشعور، كي يخيل للقارئ أنه أمام منظر سينمائي جذاب يشاهد ما يعبر عنه الشاعر أو يجسده من المعاني الخلافة خلال المجازات اللطيفة. فيتحول فيه الجماد إلى صور متطورة.

بأسلوب يشد انتباه النفس ويثير كوامن الشعور، كما سيتضح ذلك - إن شاء الله - من التحليلات الآتية:

#### تخيّل المحسوسات في صور المحسوسات<sup>٢٤</sup>:

يقول الشاعر الباغوي في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

أَلْفَ ضِعْفٍ فَاتَ نُورَ الْقَمَرِ \*\*\* مُخْجَلًا لِلشَّمْسِ فِي وَقْتِ الضُّحَى

الشمس كوكب يشكل المركز الرئيس للإشراق، بطلوعه يطمس النجوم والكواكب كلها فلا يُرى منها شيء، وقد أضفى جمال الممدوح صلى الله عليه وسلم على نفسيّة الشاعر جوًّا من الإشراق والانشراح، فبحث عن شيء مشرق محسوس يماثل الممدوح إرشادا ورفعة وضياء ولم يجد ما يجذب انتباهه إلا الشمس في وقت الضحى فوصف بها الممدوح مريدا بذلك السموّ والرفعة والإرشاد والإشراق الذي يعمّ ضوءه أنحاء الأرض الساطع عليها، فتشبيه الممدوح بالشمس في وقت الضحى تشبيه في غاية الروعة والجمال، كيف لا؟! وقد كان الممدوح مخجلا لتلك الشمس المشرقة الوضاءة التي تبدد سوادها، وفاق ذاك القمر الذي ينير غياهبه.

وقول الشاعر "أَلْفَ ضِعْفٍ فَاتَ نُورَ الْقَمَرِ" رسَمَ لأمة النبي صلى الله عليه وسلم سوّدا وعلاء، ذلك لأن البدر لا يطمس النجوم بل تُرى في السماء عالية المكان مرتفعة وهي زينة للسماء يهتدي بها الركبان، فأثبت الشاعر لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فضلا وشرفا لكنه فضّل الممدوح عليها فجعله كالبدر الذي هو أعظم من النجوم وأضوأ منها. فالخيال هو الذي أخذ يُعظم الممدوح حتى كان على قدر كبير من الجمال وهو بهيّ الطلعة، فتداعت معاني الشاعر بذكر الشمس وما فيه من جمال وإشراق إلى وصف الممدوح بالجمال الذي فاق كلّ جمال، والأعجب من ذلك أنّه شمس الضحى، فكيف يغرب؟! إنّه خيال الشاعر الذي استطاع أن يجمع ويؤلف هذه الصورة الرائعة التي جعلت الممدوح مخجلا لأشعة الشمس في وقت صدورها وتلاؤها، إنّه مشهد جذاب مأخوذ من الواقع ليرضي أذواق المتلقين ويمتعمهم بلوحات جمالية رائعة. تصور هذا المشهد لتدرك درجة ما تتمتع به شخصيته صلى الله عليه وسلم من جمال وإشراق. يقول الجرجاني في معرض حديثه عن

روعة التشبيه بالشمس: "وللشعراء في التشبيه أغراض، فإذا شبهوا بالشمس في موضع الوصف بالحسن أرادوا به الهاء والرؤنق والضياء، ونصوع اللون والتمام، وإذا ذكروه في الوصف بالنباهة والشهرة أرادوا به عموم مطلعها وانتشار شعاعها، واشترك الخاص والعام في معرفتها وتعظيمها. وإذا قرنوه بالجلال والرفعة أرادوا به أنوارها وارتفاع محلها. وإذا ذكروه في باب النفع والإفراق قصدوا به تأثيرها في النشوء والنماء، والتحليل والتصفية".<sup>(4)</sup> وعلى هذا، فإن الشاعر موفق في الصنعة.

#### تخيّل المحسوسات في صور المعقولات<sup>٢٦</sup>

يقول الشاعر في وصف غزوة بدر

ورمى الجيش بكف من حصى\*\*\*هزموا في الحين مثل الفأر

تظهر روعة الخيال في البيت حيث عقد الشاعر المماثلة بين الصورتين؛ حسا وعقلا، وأحضر للقارئ مشهدا حساسا يناجي فيه أهل بدر رضوان الله عليهم، وتتجلى روعة النظم في صياغة الشاعر لهذه المعاني التي صبها بعاطفة قوية وهياجة للقلوب، وألفاظ حادة قاطعة وتعبير حي، وصور أحوال الكفار في صورة فأر عند بروز الفريقين وجهًا لوجه، ليُقضي الله أمرًا كان مفعولًا، صورًا وشواهد تدل على مستقبل الإسلام، ومقدار تضحية المؤمنين.

استطاع الشاعر في تجسيد المشهد أن ينتقل بالقارئ إلى عالم المقاومة الشديدة التي لم يعايشها، واستن له مشاركته في الشعور والوجدان، ويدعو هذا المشهد إلى التأمل في أهمية الشجاعة ودورها الحاسم في نتيجة المعركة. {وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ}.

وكلمة "هزموا" لها وقعة في النظم، فإنها تدل على انهزام وانكسار وخسران في القتال، ولما أوردتها الشاعر بقوله: "في الحين مثل الفأر" دلت على شدة خيبة الكفار في الغزوة، واستعمل الشاعر هذا النوع من الخيال ليصغر العدد الكثير من المشركين.

تخيّل المعقولات في صور المحسوسات:

قال الشاعر عن الطبيعة، المدينة المنورة

ضاع في وادي العقيق مهجتي\*\*\* من رفيقي باقتفاء الأثر؟

اتخذ الشاعر صورة خيالية من الطبيعة ليصور غاية شوقه للنبي صلى الله عليه وسلم، وتلمس من الصورة المحركة التي رسمها الشاعر أنّ قلبه في تيه وحيرة لشدة شوقه ومحبته للنبي صلى الله عليه وسلم، حتى خرج مهجته الصادر من أعماق قلبه وضاع في واد العقيق بالمدينة المنورة! يا تُرى!! هل هناك بقاء للنفس بعد تضييع مُهجتها؟ وهل من ناصر ينصره باقتفاء أثر هذه المهجة الضالة؟ وتظهر حلاوة المعنى في استخدام الشاعر كلمة "ضاع" التي تدلُّ على قوت السَّيء وضياعه مع ذهابه في غير حَقِّه<sup>(٧)</sup> لذا أردفه الشاعر بما يناسبه قائلا "من رفيقي باقتفاء الأثر؟"

#### الخاتمة:

تلك جولة بسيطة عن الخيال للشاعر الباغوي، تناول فيها الباحثان نبذة يسيرة عن الشاعر من حيث النشأة، والتعلم، وعوامل تكوينه. وعقب ذلك عرضاً سريعاً لمفهوم الخيال، ثم تطرقا إلى إبراز الصور الخيالية الفنية الرائعة من شعر الباغوي، وتبين من خلالها أنّ الشاعر محمد تکر الباغوي ترعرع في بيت يهتم بالعلم والتربية، كما عاش في بيئة نيجيريا مكتظة بالعلماء والأدباء البارعين. مما ترك أثراً إيجابياً في تكوين شخصية الشاعر. كما تجلّى في المقالة عبقرية الشاعر في تشكيل الصور الرائعة في شعره وصياغة المعاني التي يريد أن يقنع بها القارئ وتطرب لها نفسه صياغة فنية رشيقة في ألواح جمالية رائعة تقريبا للبعيد وتسهيلا للصعب، وتوضيحا للغامض، مما يدل على تمكن الشاعر في فنه الأدبي وسلامة لغته التصويرية.

وقد سبق أنّ هدف المقال إبراز مقدرة الشاعر محمد تکر الباغوي على استحضار الصور الرائعة في شعره، وقدرته في اقناع القارئ بروعة خياله وقيمة أفكاره، والرجاء تحقّق الأمل في السطور المتقدمة.

- ١ - البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي: الحافظ، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، نشر دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) سنة ١٤٢٢م، ج٨، ص: ٣٤، رقم الحديث: ٦١٤٥
- ٢ وسَيّ بالشيخ لعلمه وأدبه، لا لكثرة سنّه. ينظر: عمر علي حطيجه، لاميات الباغوي في مدح الشيخ أبي الفتح البراوي: دراسة أدبية، بحث تكميلي قدمه إلى قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو، لنيل لدرجة الدكتوراه في اللغة العربية، سنة ١٤٣٩ الهجرية. ص: ١١
- ٣ وسَيّ بـ "تكر" لأنه أول مولود لوالده فسي بمحمد، وكان من عادة قبيلة الفلاني، تسَيّ أول مولود سَيّ محمد بـ "تكر". ينظر: عمر علي حطيجه، لاميات الباغوي، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
- ٤ نسبة إلى دورن باغا، قرية تقع على ضفة بحيرة تشاد، في ولاية برنو. لقد اشتهر أهالي هذه القرية بصيد السمك. ينظر: عمر علي حطيجه، لاميات الباغوي، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
- ٥ نسبة إلى قرية مشايا التي ولد فيها الشاعر، تقع حاليا في محلية دُفّي بولاية يوبي.
- ٦ محمد تكر الباغوي، أرجوزة عن تاريخ ولادته، مخطوطة، توجد النسخة بمكتبة الشاعر الخاصة ص: ١
- ٧ محمد تكر الباغوي، أرجوزة عن تاريخ ولادته، المرجع نفسه والصفحة ذاتها.
- ٨ غوبر قبيلة كبيرة تسكن بين الجمهوريتين: نيجيريا ونيجر، أسست دولة واسعة قبل جهاد الشيخ عثمان بن فودي تغمده الله برحمة رضوانه. ينظر: عمر علي حطيجه، لاميات الباغوي، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
- ٩ عمر علي حطيجه، لاميات الباغوي في مدح الشيخ أبي الفتح البراوي، المرجع نفسه، ص: ١٢.
- ١٠ نور أحمد إبراهيم، فن المديح لدى محمد تक्र باغا "دراسة أدبية" بحث مقدّم إلى قسم اللغة العربية، جامعة عثمان بن فودي، صكتو، لنيل درجة ماجستير في اللغة العربية، سنة ٢٠١٠ الميلادية، ص: ١٣
- ١١ غلادني، شيخو أحمد سعيد، حركة اللغة العربية وأدائها في نيجيريا، النهار للطبع والنشر والتوزيع، ط/٣، ٢٠٠٧م، ص: ٤٤
- ١٢ ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر-بيروت، الطبعة الأولى بلا تاريخ، ج ١١، ص: ٢٢٦
- ١٣ ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
- ١٤ ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.
- ١٥ ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، المرجع نفسه، والصفحة ذاتها.



- ١٦ ابن فارس، أحمد بن زكريا، مقاييس اللغة، بتحقيق: أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، سنة: ٢٠٠٨م، ص: ٢٧٦، مادة: خيل.  
سورة طه، الآية: ٦٦
- ١٨ سيد طنطاوي، محمد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ط ١، مصدره: المكتبة الشاملة، الاصدار الأخير، ج ٩، ص: ١٢٤
- ١٩ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة، ج ١، ص: ٤١١، باب الخاء، مادة: خيل
- ٢٠ ابن منظور الأفرقي، محمد بن مكرم، لسان العرب، المرجع السابق، والصفحة ذاتها.
- ٢١ شوقي ضيف: الدكتور، في الأدب والنقد، دار المعارف، بلا تاريخ، ص: ١٩
- ٢٢ عبد العزيز عتيق: الدكتور، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، سنة: ١٩٧٢م، ص: ١١٩
- ٢٣ التونسي، محمد خصّر حسين: الأستاذ، الخيال في الشعر العربي، المكتبة العربية في دمشق، سنة: ١٩٢٢م، ص: ١٣
- ٢٤ عبد العزيز عتيق: الدكتور، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر-بيروت، سنة ١٩٧٢ الميلادية، ص: ١٢٨
- ٢٥ الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص: ١٢٥
- ٢٦ محمد خضير حسين التنوسي: السيد، الخيال في الشعر العربي، نشر المكتبة العربية في دمشق، سنة ١٩٢٢ الميلادية، ص: ٢٨
- ٢٧ ابن فارس، أحمد، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ج ٣، ص: ٣٥٦